

صلاة الجهلة

الصلاة بالترداد ليست صلاة، هي كلمات تُردّد عن جهل دون معنى. فرضٌ يلجأ له من طلب لنفسه إراحة ضمير وتكفير عن ذنب وقيام بواجب، التزام صوري بما جاء في التعاليم والكتب السماوية، تطبيق حرفي لقواعد وطقوس دون فهم معناها ودون معرفة مغزاها، وتعداداً للدقائق والساعات تُحتسب على ربنا صلاة له وأوقاتاً عليه. إنها صلاة الجهلة، صلاة الترداد والتعداد، والصلاة على غير ذلك، هي تواصل مع الله وتخاطب وتكالم وتعاتب وتلاقي... هي شهادة حب وعطاء وفداء وزكاة وإعانة، هي عمل وجهد في سبيل الخير ومصالحة إنسانية... وفي لبنان، خطاب سياسي كصلاة الجهلة، كلما وقف مسؤول يتكلم انطلق لسانه كالبيغاء يردد عبارات التقارب والترابط والتكامل مع سوريا، وبادر إلى رش سلطاتها بآيات التمجيد والتهليل والتعظيم والتبخير. تسابق من طرف واحد على التنازل والإهداء، على القبول والانصياع، على الاجتهاد والتفسير، على تزوير الواقع والتاريخ،

على الاتكال والتريث والانتظار، على الولاء للخارج. خطبٌ مواقف تزيدنا ألماً وعتباً وشفقة، نبحت فيها عن مصلحة لبنانية عليا، ونبحت فيها عن مصلحة سورية إقليمية، وفي كلا الحالتين تنازل وغدر، انصياع وفوقية، تبرير ونفاق وترداد وترداد. فهم المعنى ودون معرفة المغزى. لا شك أن حبهم عظيم وغرامهم قتال، بصدق، أحبوا التبعية والوصاية، بصدق، أحبوا التوجيه والتوبيخ، بصدق، أحبوا الاتكالية، ولم التعب والتفكير طالما هنالك من يفكر ويخطط بالوكالة عنهم. يخطئ من يعتقد أننا نضمّر مسبقاً العداء لسوريا، يخطئ من يعتقد أن في خيارنا تفضيل على المصلحة الوطنية، يخطئ من يعتقد أن في موقفنا تواطؤ وخيانة، والخيانة حال من فرط بحق وأرض، حال من زور التاريخ وحوّر الواقع، حال من انتصر لشقيق وقريب وصديق على مصلحة أهله وشعبه، حال من تخلى عن مبدأ وقيم، حال من تنازل عن مطلب وتراجع عن هدف وتبدل وتلون وأحب فجأة، فردد وما تردّد، كصلاة الجهلة، عبارات ما فهم معناها، ما سمع فحواها، انقلب مرة ينقلب كل مرة، تعودنا أن نلتقيه دائماً، في المقلب الآخر.